سلاح المؤمن الدعاء بِصِدْق الإلتجاء إلى ربّ الأرض والسماء في وجوب نصرة غزّة وإخواننا من أرض الإسراء

2023-12-29

الحمد لله، الحمد لله العظيم في قدره، العزيز في قهرِه، العليم بحال العبد في سرِّه وجهره، يسمعُ أنينَ المظلوم عند ضعف صبره، ويجُودُ عليه بإعانته ونصره، فسبحانه من إله جعل من الوقاية من الفتن: الدعاء والإلحاح. وجعله سلاحا ونوعا من الدفع والكفاح، وأباح للمظلوم أن يدعو على ظالمه دون جُناح، وَنَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ؛ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَنَاصِرِ الْمُسْتَضْعَفِينَ ((فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)). نَحْمَدُهُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَفِي الْعَافِيَةِ وَالْبَلَاءِ، فَلَا يُحْمَدُ عَلَى كُلِّ حَالٍ سِوَاهُ، جَعَلَ دُعَاءَهُ مِنْ عِبَادَتِهِ، وَعِدَةً فِي ابْتِلَائِهِ، وَشُؤْمًا عَلَى أَعْدَائِهِ، وَنَصْرًا لِأَوْلِيَائِهِ، فَكَمِ اسْتَنْصَرُوهُ فَنُصِرُوا، وَاسْتَغَاثُوا بِهِ فَأُغِيثُوا، وَدَعَوْهُ فَغَلَبُوا. ((إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ)). وأَشْهَدُ أَنَّ سيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ ورَسُولُهُ، وصَفِيُّهُ مِنْ خَلْقِهِ وخَلِيلُهُ، كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ تَعَلُّقًا بِاللهِ تَعَالَى، وَدُعَاءً لَهُ، وَاسْتِنْصَارًا بِهِ، وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ، وَيَقِينًا بِوَعْدِهِ، وَثِقَةً بِمَا عِنْدَهُ، وَفِي بَدْرٍ ظَلَّ يَسْتَغِيثُ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبِهِ مِنْ كَثْرَةِ دُعَائِهِ وَاسْتِغَاثَتِهِ يَطْلُبُ نَصْرَ اللهِ تَعَالَى وَتَأْيِيدَهُ،

يَا أُمَّةَ المصطفى الْمَوْصوفِ في الكتبِ * وشائقين بمدح الطّيِّبِ الحَسَبِ

إنْ شئتُمُ أن تنالوا النَّجْحَ في الطَّلَبِ * وتَسْلَموا من شرور العجْمِ والعَرَبِ

صلّوا على خيرِ مرسولٍ وخيرِ نبِي

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. العليّ الجاه والمقدار. وعلى آله الأجلّة الأطهار. وصحابته النجباء الأخيار. صلاة تكفينا بها شرّ الأشرار وكَيد الفجّار. وتمنحنا بها درجة رفيعة في أعالي الفراديس ودار القرار. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أَمَّا بَعْدُ:** فيا أيّها

المسلمون. فِي النَّوَازِلِ وَالْأَزَمَاتِ تَمْحِيصٌ لِلْقُلُوبِ، وَتَمْيِيزٌ لِلصُّفُوفِ، وَاخْتِبَارٌ لِلْإِيمَانِ، وَكَشْفٌ لِلنِّفَاقِ؛ فَالشَّدَائِدُ إِمَّا أَنْ تُورِثَ الرِّضَا عَنِ اللهِ تَعَالَى وَحَمْدِهِ وَاسْتِرْجَاعِهِ وَدُعَائِهِ، وَإِمَّا أَنْ تُورِثَ التَّسَخُّطَ وَالِاعْتِرَاضَ وَالشُّكُوكَ، وَتَدُلَّ عَلَى ضَعْفِ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ. لأنّ الإيمان بالله عز وجل سبب الأمن والأمان، والإيمان يجعل الخوف من الله وحده، ولا أمان فيما سواه. يقول تعالى في سورة الأحزاب: ((الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيباً)). ولهذا كانت الصدور الجَوْفاء من الإيمان البعيدة من الله، مليئة بالخوف. والهلع والجزع. والاضطراب والحَيْرة. وإذا امتلأ القلب إيماناً، عرف صاحبُه ملجأه ودواءَه، ومفزعَه وشفاءَه. وَاعْلَمُوا رحمكم الله. أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وتعالى قَرِيبٌ مِنْ عِبَادِهِ، مُطَّلِعٌ عَلَى أَحْوَالِهِمْ، عَالِمٌ بِنَوَازِلِهِمْ، يَسْمَعُ دُعَاءَهُمْ، وَيُجِيبُ نِدَاءَهُمْ، وَيَرْحَمُ ضَعِيفَهُمْ، وَيُمْلِي لِظَالِمِهِمْ، وَيَمْكُرُ بِفَاجِرِهِمْ، قَالَتْ السيّدة عَائِشَةَ أُمّ المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. فيما صحّحه ابن ماجه. قالت: ((تبارَكَ الَّذي وسِعَ سمعُهُ كلَّ شيءٍ، إنِّي لأسمعُ كلامَ خَولةَ بنتِ ثَعلبةَ ويخفَى علَيَّ بعضُهُ، وَهيَ تشتَكي زَوجَها –أَوْس بن الصَّامتِ-، إلى رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ. وَهيَ تقولُ: يا رسولَ اللَّهِ، أَكَلَ شَبابي، ونثرتُ لَهُ بَطني، حتَّى إذا كبُرَتْ سِنِّي، وانقطعَ ولَدي، ظاهرَ منِّي، اللَّهمَّ إنِّي أشكو إليكَ، فما برِحَتْ حتَّى نزلَ جِبرائيلُ بِهَؤلاءِ الآياتِ: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)). أيّها المسلمون. وَفِي مَأْسَاةِ غزّة عَلَتْ أَصْوَاتٌ تَتَسَاءَلُ عَنْ جَدْوَى الدُّعَاءِ، أَوْ تَلُومُ مَنْ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الِاسْتِنْصَارِ بِاللهِ تَعَالَى حِينَ خَذَلَ الْعَالَمُ كُلُّهُ أَهْلَ غزّة، وَأَسْلَمَ دِيَارَهُمْ وَرِقَابَهُمْ. وَأَعْرَاضَهُمْ وَأَطْفَالَهُمْ. إِلَى اليهود الصهاينة أَحَطِّ خَلْقِ اللهِ تَعَالَى. وَأَقْذَرِهِمْ وَأَنْجَسِهِمْ. وَالْمُؤْمِنُ يَفْرَحُ أَنَّ هَذِهِ اللَّوْثَةَ النِّفَاقِيَّةَ لَمْ يَتَلَوَّثْ بِهَا أَهْلُ غزّة. وفلسطين فِي مِحْنَتِهِمْ. حِينَ تَلَوَّثَ بِهَا غَيْرُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ إِلَى آخِرِ لَحْظَةٍ وَهُمْ يُعْلِنُونَ ثِقَتَهُمْ بِاللهِ تَعَالَى، وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَيْهِ،

وَيَسْتَنْصِرُونَ بِهِ، وَيَرْضَوْنَ بِقَدَرِهِ سُبْحَانَهُ. أيّها المسلمون. إِنَّ شَأْنَ الدُّعَاءِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى عَظِيمٌ، وَمَقَامَهُ مِنْ دِينِهِ سُبْحَانَهُ كَبِيرٌ، وَهُوَ السِّلَاحُ الَّذِي لَا يُكْسَرُ، وَالْحِصْنُ الَّذِي لَا يُهْدَمُ، وَالْقُوَّةُ الَّتِي لَا تُقْهَرُ. وَمَا أُتِيَ الْمُسْتَهِينُونَ بِسِلَاحِ الدُّعَاءِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ مَرَضِ قُلُوبِهِمْ، وَضَعْفِ عُقُولِهِمْ، وَهَزِيمَةِ نُفُوسِهِمْ، وَانْهِيَارِ مَعْنَوِيَّاتِهِمْ، وَسَيْرِهِمْ خَلْفَ مَنْ لَا يَفْقَهُونَ مِنْ مَعَانِي النَّصْرِ إِلَّا احْتِلَالَ الْأَرْضِ، وَالْإِثْخَانَ فِي الْقَتْلِ. وَهَذَا جُزْءٌ مِنَ النَّصْرِ وَلَيْسَ النَّصْرَ كُلَّهُ؛ إِذْ إِنَّ الثَّبَاتَ عَلَى الْحَقِّ أَعْظَمُ نَصْرًا مِنْ كَسْبِ أَلْفِ أَرْضٍ. وَعَدَمُ قُدْرَةِ الْعَدُوِّ عَلَى تَغْيِيرِ دِينِ ضَحَايَاهُ. وَمَبَادِئِهِمْ وَقَنَاعَاتِهِمْ. يَدُلُّ عَلَى هَزِيمَتِهِ. وَلَوْ مَزَّقَ قُلُوبَهُمْ، وَقَطَّعَ أَشْلَاءَهُمْ، وَأَحْرَقَ أَجْسَادَهُمْ. وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ غَزْوَةِ أُحُدٍ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، وَفِي خِضَمِّ اسْتِعْرَاضِ الْجِرَاحِ وَالْآلَامِ؛ يُذَكِّرُ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْبِيَاءَ كُثُرٍ أُصِيبُوا وَأَتْبَاعُهُمْ بِآلَامٍ شَدِيدَةٍ لَكِنَّهَا لَمْ تُحْبِطْهُمْ، وَبِجِرَاحٍ أَلِيمَةٍ لَكِنَّهَا لَمْ تُضْعِفْهُمْ، بَلْ ثَبَتُوا وَصَبَرُوا، ثُمَّ يَحْكِي اللهُ تَعَالَى لَنَا لُجُوءَهُمْ فِي مُصَابِهِمْ إِلَى الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ، يَسْأَلُونَ رَبَّهُمُ الثَّبَاتَ فِي نَوَازِلِهِمُ الَّتِي نَزَلَتْ بِهِمْ، وَافْتَتَحَ اللهُ تَعَالَى الْإِخْبَارَ عَنْهُمْ بِـ(كَأَيِّنْ) الَّتِي تُفِيدُ كَثْرَتَهُمْ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْهَجَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُمُ اسْتِعْظَامُ أَمْرِ الدُّعَاءِ، وَتَفْخِيمُ شَأْنِهِ، وَالْهَرَعُ إِلَيْهِ فِي النَّوَازِلِ وَالْأَزَمَاتِ؛ لِلرَّبْطِ عَلَى الْقُلُوبِ بِهِ، وَتَأْمِينِهَا مِنَ الْخَوْفِ، وَتَقْوِيَتِهَا مِنَ الضَّعْفِ، وَإِخْرَاجِهَا مِنْ دَائِرَةِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِكَانَةِ. وَالْوَهَنِ وَالْيَأْسِ. إِلَى اسْتِثْمَارِ الْحَدَثِ، وَإِظْهَارِ الْعُبُودِيَّةِ لِلهِ تَعَالَى فِيهِ بِالصَّبْرِ عَلَى الْمُصَابِ، وَكَثْرَةِ الْإِلْحَاحِ، وَالتَّحَلِّي بِالْفَأْلِ، وَالتَّحَزُّمِ بِالْيَقِينِ وَالتَّوَكُّلِ. قال تعالى: ((وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيءٍ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)). أيّها المسلمون. مَنْ نَظَرَ إِلَى جُمْلَةٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي الدُّعَاءِ. عَلِمَ أَنَّهُ أَعْظَمُ مَا يَحْتَاجُهُ الْمُؤْمِنُ فِي الرَّخَاءِ وَفِي

الشِّدَّةِ، وَلِنَفْسِهِ وَلِإِخْوَانِهِ، وَأَنَّهُ أَعْظَمُ عَوْنٍ يُقَدِّمُهُ الْمُؤْمِنُ لِمَكْرُوبٍ أَوْ مَهْمُومٍ. أَوْ مُحَاصَرٍ أَوْ مُعَذَّبٍ؛ نعم. الدعاء. تلك العبادة التي غفل عنها كثير من الناس، في خضمّ هذه الأحداث الأليمة التي تمرّ بالأمّة. انصرف الناس عن الدعاء والتضرّع والخضوع لله عزّ وجلّ، فترى الناس في مجالسهم غارقين في الأحاديث، وسرْد الأحداث، وتتبّع الأخبار. إلى غير ذلك، فأين دعاء الله سبحانه وتعالى؟! وأين الإنكسار لله تعالى؟!. وأين صِدْق الإلتجاء إلى مولانا جلّ وعلا بالدّعاء في رَفْع ما نزل بأُمّة الإسلام. وبمن في أرض بيت المقدس؟!. أيّها المسلمون. فعلى المسلم في مثل هذه الأحوال، وفي مثل هذه الظروف عليه أن يلجأ إلى الله بالدعاء والتضرّع، فإنّ الله عزّ وجلّ يحب الملحّين من عباده في الدعاء. ذَكَرَ الْأَوْزَاعِيُّ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُلِحِّينَ فِي الدُّعَاءِ)). وَقَدْ رَوَى ابْنُ مَاجَهْ فِي سُنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ)). نعم. إذا أحاطَت الحُتوف، ونزلَ الأمرُ المَخوفُ، واشتدَّ الكَربُ، وعظُمَ الخَطبُ. ليس لنا إلا اللهُ جلّ في عُلاه، راجين تحقيق وَعْده، الذي وعد به عباده المؤمنين إذ يقول الله تعالى في سورة غافر: ((وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)). ويقول سبحانه في سورة البقرة: ((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)). أيّها المسلمون. والدعاء قربة الأنبياء عليهم السلام. قال تعالى في سورة الأنبياء: ((إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)). ولمَّا دعا سيّدنا إبراهيم عليه السلام ربه قال الله تعالى للنار: ((يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ)). ((وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ)). ((وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرّ)). ولمّا نادى ذو النّون يونس عليه السلام في الظلمات: ((لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ

إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)). جاء الجوابُ من فوقِ السموات. فقال الله جل في علاه: ((فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ)). ((وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ)). وقد ذكَر الله تعالى رحمتَه بزكريّا إذ نادى ربَّه نداء خفياً، فلم يكن بدعاءِ ربّه شقياً. ومن ذلكم ما ذَكره الله جل وعلا في قصة نوح عليه السلام واستنصاره بالدعاء، ((فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ، فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ)). أجاب الله دعوته. ومن ذلكم ما جاء في قصة موسى وأخيه هارون في استنصارهما على أعدائهما بالدعاء، ((رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ)). قال الله تعالى: ((قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا)). وفي كتابِ الله تعالى أكثرُ من ثلاثمائة آية عن الدعاء.

أيّها المسلمون. أَحْسِنُوا الظَّنَّ بِربكم فِي دُعَائِكُمْ، فَظُنُّوا أَنَّهُ يَقْبَلُهُ وَيُجِيبُهُ، وَلَا تَسْتَبْطِئُوا الْإِجَابَةَ، وَلَا تَمَلُّوا كَثْرَةَ الدُّعَاءِ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ الْمُلِحِّينَ. وَالدُّعَاءُ عِبَادَةٌ مِنْ أَجَلِّ الْعِبَادَاتِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الدَّاعِي لِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ. ((وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)). وَالدُّعَاءُ جِهَادٌ كَمَا قَالَ الشَّامِيُّ فِي سِيرَتِهِ (سَبُل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد). تَعْلِيقًا عَلَى غَزْوَةِ بَدْرٍ: (وَقَاتَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ بِنَفْسِهِ قِتَالًا شَدِيدًا، وَكَذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَمَا كَانَا فِي الْعَرِيشِ يُجَاهِدَانِ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ، ثُمَّ نَزَلَا فَحَرَّضَا وَحَثَّا عَلَى الْقِتَالِ، وَقَاتَلَا بِأَبْدَانِهِمَا، جَمْعًا بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ). فَلَا تَكِلُّوا وَلَا تَمَلُّوا مِنَ الدُّعَاءِ لِإِخْوَانِكُمُ الَّذِينَ وُطِئَتْ أَرْضُهُمْ، وَدُنِّسَ عِرْضُهُمْ، وَأُهِينَ رِجَالُهُمْ، وَعُذِّبَ أَطْفَالُهُمْ؛ فَإِنَّ دُعَاءَكُمْ لَهُمْ مِنَ الْجِهَادِ وَمِنَ النُّصْرَةِ، بَلْ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ النُّصْرَةِ. أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ. حِينَ كَانَ أَهْلُ الْإِيمَانِ قِلَّةً مُسْتَضْعَفِينَ فِي مَكَّةَ. كَانُوا يَعْلَمُونَ قِيمَةَ الدُّعَاءِ فِي رَفْعِ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ؛ وَلِذَا طَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَدْعُوَ لَهُمْ مَعَ دُعَائِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَلِإِخْوَانِهِمْ، وَقَالُوا فِي طَلَبِهِمْ:

((أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟)). طَلَبٌ يُوحِي بِأَنَّهُ صَادِرٌ مِنْ قُلُوبٍ أَرهقهَا الْعَذَابُ، وَأَنْهَكَهَا الْجَهْدُ، وَهَدَّتْهَا الْبَلْوَى؛ فَهِيَ تَلْتَمِسُ الْفَرَجَ الْعَاجِلَ، وَتَسْتَبْطِئُ النَّصْرَ, فَتَسْتَدْعِيهِ. وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَدْعُو لَهُمْ يَطْلُبُ مِنْهُمُ الصَّبْرَ عَلَى الْبَلَاءِ إِلَى أَنْ يَأْذَنَ اللهُ تَعَالَى بِالْفَرَجِ. وفي هذه الأيام العصيبة ما أحوج أهلنا في فلسطين الحبيبة. وقطاع غزّة الجريحة. إلى نصرتهم والوقوف معهم لِمَا يتعرّضون إليه من عدوان غاشم وتهجير. وانتهاكات كارثية غير إنسانية ومتواصلة، أَوْدَت بحياة الكثيرين من المدنيّين الأبرياء العُزّل، من بينهم عدد كبير من الرُّضَّع. والأطفال والنساء والشيوخ، آلاف الأطنان من القنابل والمتفجّرات يُسقطونها على رؤوسهم على مدار الساعة ليلاً ونهاراً، والتي ما زالت تهدِّد حياة وأمن مئات الآلاف منهم، لا يرحمون براءة الأجنّة والرّضَّع، ولا بُكاء الأطفال والثكالى، ولا الشيوخ رحَمَوا، وصدق الله العظيم إذ يقول في وصفهم كما في سورة التوبة: ((لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ)). فَمَنْ ظَنَّ بِاللهِ تَعَالَى أَنَّهُ يُسْلِمُ دِينَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ لِأَرْذَلِ خَلْقِهِ فَبِئْسَ مَا ظَنَّ؛ إِذْ إِنَّ ظَنَّ الْمُؤْمِنِ بِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ فِيمَنْ أُصِيبَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ. فَعُذِّبُوا وَقُتِلُوا. وَحُرِّقُوا وَشُرِّدُوا مِنْ دِيَارِهِمْ. أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَدَّخِرُ لَهُمْ مَنَازِلَ لَا تَبْلُغُهَا أَعْمَالُهُمْ، فَيَبْتَلِيهِمْ لِبُلُوغِهَا، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى يُحْيِي بِعَذَابِهِمْ أُمَّةً كَامِلَةً يُحْدِقُ بِهَا الْخَطَرُ وَهِيَ لَاهِيَةٌ غَافِلَةٌ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُضَيِّعْ دُعَاءَ الْمُحَاصَرِينَ في غزّة وَهُمْ يَضْرَعُونَ إِلَيْهِ، وَلَا دُعَاءَ إِخْوَانِهِمْ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَلَكِنَّهَا حِكْمَتُهُ سُبْحَانَهُ فِي ظُهُورِ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ بِنَصْرٍ مُسْتَحَقٍّ، تَسْتَحِقُّهُ الْأُمَّةُ بَعْدَ تَوْبَتِهَا مِنْ ذُنُوبِهَا، وَعَوْدَتِهَا إِلَى دِينِهَا، وَنَفْيِ خَبَثِ النِّفَاقِ عَنْهَا، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِقَطْعِ كُلِّ الْحِبَالِ الْأَرْضِيَّةِ، وَالْيَأْسِ مِنْ كُلِّ الْمَعُونَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، وَإِظْهَارِ الْأَعْدَاءِ عَلَى حَقِيقَتِهِمْ، وَهَذَا هُوَ عَيْنُ مَا يَقَعُ الْآنَ فِي الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ. وَكَيْفَ يَسْتَهِينُ بِالدُّعَاءِ مَنْ يَعْلَمُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي صحّحه الترمذي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لَا يَرُدُّ القَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ)). نَعَمْ. لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ فَهُوَ أَقْوَى سِلَاحٍ، فَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ حَذَرٌ مَهْمَا كَانَ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ حُصُونٌ مَهْمَا ارْتَفَعَتْ وَأُحْكِمَتْ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ جَيْشٌ مِنَ الْمُخَابَرَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ تِرْسَانَةٌ مِنَ الْأَسْلِحَةِ النَّوَوِيَّةِ. بَلْ قَدْ تَنْقَلِبُ وَبَالًا عَلَى أَصْحَابِهَا. وَحَسْبُ الْمُؤْمِنِ هَذَا الْحَدِيثُ لِيَعْلَمَ أَنَّ الدُّعَاءَ أَقْوَى سِلَاحٍ، فَلَا يَتْرُكُهُ فِي مُصِيبَةٍ وَاقِعَةٍ، كَمَا لَا يَتْرُكُهُ فِي دَاهِيَةٍ مُتَوَقَّعَةٍ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّ قَدَرَ اللهِ تَعَالَى مَاضٍ فِي الْبَشَرِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ، وَيَتَسَلَّحُ بِالدُّعَاءِ فِي رَدِّ مَا يُكْرَهُ مِنْهُ. قال تعالى: ((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)). وقد جاء في الأثر: ((مَن لم يَهتمّ بأمْر المسلمين فليس منهم)). اللهم أيقظ قلوبنا من الغفلات، وطهّر جوارحنا من المعاصي والسيّئات، ونقّ سرائرنا من الشرور والبليّات، اللهم اعصمنا من شر الفتن. وعافنا من جميع البلايا والمحن. وأصلح منّا ما ظهر وما بطن. اللهم اجعل لنا من كل همّ فرجا، ومن كل ضيق مخرجاً، اللهم إنّا نسألك أن تعاملنا والمسلمين بعفوك ومعافاتك ومغفرتك؛ وأن تعيذنا من تفاقم الشرور والأسواء؛ وأن لا تؤاخذنا بما فعله السفهاء منّا؛ وأن ترحم ضَعفنا واعترافنا بخطايانا؛ اللهم انقطع الرجاء إلا منك، وخابت الآمال إلا فيك، وضعف الاعتماد إلا عليك، وانسدّت الطرق إلا إليك، وأُغلقت الأبواب إلا بابك؛ فلا تكلنا إلى أحدٍ سواكَ، اللهم اكشفِ الكربَ عن إخوانِنَا في فلسطينَ، اللهم إنَّهم قدْ تكالبتْ عليهمُ الأممُ وأنتَ القويُّ العزيزُ، اللهم انتصر لهم على عدوِّكَ وعدوِّهم، يا ذا الجلال والإكرام. اللهم احفظ المسجد الأقصى والمرابطين فيه، مسرى نبيّك صلى الله عليه وسلم. اللهم حصّنه بتحصينك. وأكلأه برعايتك وعنايتك. واجعله في حرزك وأمانك وضمانك. يا ذا الجلال والإكرام. اللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين، واحم حوزة الدين، ودمّر أعدائك أعداء الدين، متوجّهين إليك بأسمائك الحسنى. وصفاتك العلى؛ ومتوسّلين إليك بحبيبك

المصطفى. سيّدنا ومولانا محمد. صلى الله عليه وآله وسلم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين. اهـ